علم الحركات الجسمية (علم الكينات)
Kinesics

د. لمى فائق جميل العاني
جامعة بغداد / كلية الآداب

مقدمة :

لقد اتسعت ميادين علم اللغة لارتباطه بعلوم أخرى ؛ مما جعل الباحث في هذا العلم يتطلع إلى المزيد من العلوم الحديثة ، بعد أن يحاول السيطرة على العلوم العربية القديمة ؛ وذلك لأنه يتعامل مع حالة طبيعية يومية.

وقد تعددت حقول علم اللغة ؛ لما لهذه الظاهرة الإنسانية من أهمية كبيرة فهي الوسيلة الأولى والأهم للتعبير عن حاجات الإنسان ، وهي مادة تعامله اليومي ، فضلاً عن أنها تعبّر عن مشاعره .

لم تكن اللغة من حيث صورتها النطقية كافية للتعبير عن كل ما تقدم ، ولكنها امتزجت مع (لغات) أو وسائل أخرى ، إذا ما علمنا أن كل وسيلة تؤدي وظيفة اتصالية ، وتعبر عن معنى يصل إلى المتلقي فهي لغة .

وقد ظهر علم (السيميولوجيا) بتعدد تعريفاته ، فهو العلم " الذي يدري حياة العلامات في إطار ثقافة المجتمع "[١].

وللعرب تراث عريق في معرفة الإشارات ولسنا بصدد الحديث عن السيمياء عند العرب[٢] ولكن لوجود اتصال كبير بين الكلام بالجسد والعلامات والإشارات التي تبدو على الإنسان وما يصاحب كلامه من تعبيرات غير ناطقة ." فهناك أنظمة من العلامات التي تقوم على الإشارة وتخاطب العين ، وهناك ما تخاطب به اليد أو الأنف ... [٣] .

ويمكن القول أنّ الأشكال البصرية تتأتى بطريقتين :.

- الأولى : ما يعتمد في إصدار العلامات الإصطلاحية على وسائل أخرى غير الإشارة بأعضاء الجسم الإنساني وذلك كالضوء والرايات وما أشبهها.
- الثانية : ما يعتمد في إصدار العلامات الاصطلاحية على أعضاء الجسم الإنساني[٤] .

وهذا موضوع بحثنا .

وقد ذكر الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين " في باب البيان ، قال : " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أوّلها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد[٥] ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نِصبة[٦] "[٧] .

والدلالة باللفظ واضحة " أمّا الإشارة فباليد ، و بالرأس ، وبالعين ، وبالحاجب والمنكب ، إذا تباعَدَ الشخصان ، والثوب والسيف ، وقد يتهدد رافع السيف والسوط ، فيكون ذلك زاجراً ، ومانعاً طارداً ، ويكون وعيداً وتحذيراً . والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط ... ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص "[٨]، لقد جعل الجاحظ الإشارة مكملة للفظ في الدلالة على المعنى ، أو لتوضيح المراد ، وقد كان استخدامه مصطلح الإشارة غاية في الدقة .

علم الحركة الجسمية : .

باتساع المعرفة الإنسانية وتعدد مجالاتها ظهرت علوم جديدة لها قواعد وقوانين ، على الرغم من وجود مظاهرها بين البشر منذ القدم ، فظهر ما يسمى بـ ((علم الحركة الجسمية أو علم الكينات Kinesics ويطلق عليه أحياناً اسم لغة الجسم))[٩].

ويعرّف معجم علم اللغة التطبيقي مصطلح كايْن Kine بأنه ((حركة ذات معنى يقوم بها عضو واحد في جسم الإنسان أو أكثر من أجل الاتصال غير اللغوي أو تكون غير اللغوي أو تكون مصاحبة للاتصال اللغوي))[١٠] . وهو " وسيلة من وسائل الاتصال غير اللغوي ترافق الكلام أو تؤدي معنى دون كلام مرافق ومن هذه الحركات ، حركات اليدين والأصابع والذراع والعنق والعينيين والرأس والقدم والساق والجذع ، وهي كثيرة و متنوعة في أشكالها ومعانيها وتختلف من شعب إلى آخر ، ولكن بعضها مشترك ويكاد ان يكون عالمياً[١١]".

وقد يُسمّى (لغة الحركة) أيضاً وتشمل جميع الحركات التي يقوم بها الإنسان بسيطة كانت أم مركبة لينقل إلى المستقبل ما يريده من مشاعر وأفكار باستخدام اليد والوجه والعين والرأس...

وتقسم إلى حركات لا إرادية كالحركات الفطرية في الانفعالات كالحزن والبهجة والاشمئزاز والدهشة ...

وحركات إرادية وهي التي يكتسبها الإنسان مثل حركة الرأس الأنفية التي تعني الرفض أو الحركة العمودية للرأس التي تعني الموافقة[١٢] وكثير غيرها ... وما يهمنا في هذا الموضوع هو الحركات الإرادية ؛ لما لها من دور كبير في توصيل المعنى بأدق صورة .

ويتفاوت الناس في استخدام الحركة الجسمية بحسب اختلاف الشعوب ويرى بعض العلماء أنَّ الإكثار من الحركات الجسمية في أثناء الكلام يدل على فقر في اللغة فيُستعاض عنه بالحركة الجسمية[١٣].

ويتضح ذلك في الشعوب البدائية ، فعند الكلام ليلاً لا بد لهم من إشعال نار كي يتمكنوا من رؤية المتكلم لفهم كلامه .

وهذا لا يعني أنّ الشعوب المتقدمة تكتفي بالمفردات أو باللغة المنطوقة ، ذلك أنَّ الإنسان قد يمر بظروف تكون الحركة أو الإشارة هي الأبلغ في التعبير عما تجيش به نفسه ، ويجول في خاطره ، إذ تكون الحركة هي الأصدق ، فلربَّما تحدثت إلى إنسان بسيط تسأله عن مكان معين فيجيبك مشيراً إلى اليسار أو إلى اليمين[١٤] ، وحينذاك لا نحتاج إلى مفردات بقدر ما نحتاج إلى من يدلك بدقة إلى المكان الذي تريد . وكثيراً ما نستخدم الحركات حين نتكلم في سماعة الهاتف والآخر لا يرانا ، ولكننا نريد أن نؤكد كلامنا ونظهر انفعالاتنا ، وفي هذه الحالة تكون الحركة الجسمية غاية في ذاتها[١٥].

ومن طرائف الموضوع التي تروى في هذا الصدد ان هناك لافتة لغلق الباب الذي بجوار السائق في المركبات العامة في الجزائر ، تقول " ممنوع التكلم مع السائق إذ انه يحتاج الى يديه حين يسوق"[١٦] . تدل هذه العبارة على استخدام اليد في أثناء الكلام وذلك للتعبير عن الانفعال وكأن اليدين تكملان المعنى .

وكان أوّل من ابتكر علم الكينات أو علم الحركة الجسمية ، علم الانثروبولوجيا (بيردوسل) وهو من كبار الباحثين في معهد ايسترن في بنسلفانيا للتحليل النفسي ومدير أبحاث مشروع علم الاتصال[١٧] .

وقد عرّف بيردوسل علم الكينات بأنّه " علم يختص بوصف أوضاع الجسم وحركاته ، تلك الأوضاع والحركات التي تحدث وفق نمط معين كما انها تحدث نتيجة للتعلم[١٨] " . وقد قام بيردوسل بملاحظة عدد من الأسر في أثناء الجلسات العلاجية وصورها في أفلام وسجل تصرفات أفرادها بغية الوصول الى الحركات التي تتكرر بالشكل نفسه وفي السياق عينه .

وقد حلل خصائص هذه الحركات وأرجعها إلى جذورها العميقة في المجتمع الذي يعيش الفرد فيه . وهي ترتبط بثقافة ذلك المجتمع .[١٩]

سلوك الوجه كما يبدو في أبجدية (بيردوسل) الحركية

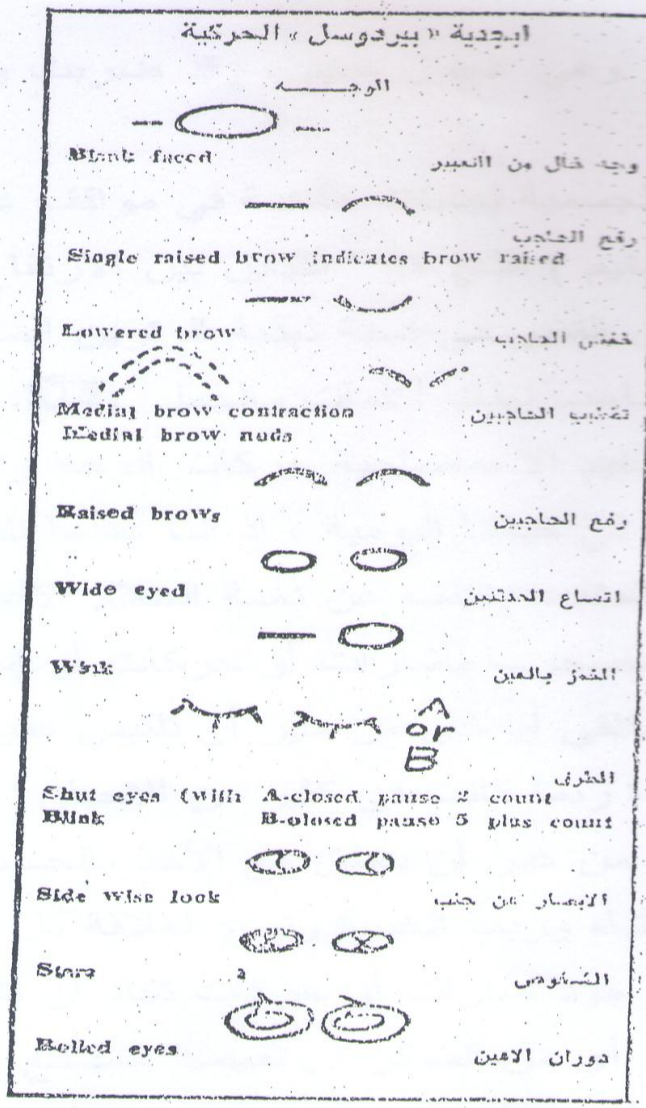

سلوك الوجه كما يبدو في أبجدية « بيردوسل » الحركية

حركة جسمية تفيد الاتهام أو تحديد المسئولية

" ونجد بعض المهتمين بدراسة التواصل يستعملون مصطلحات اخرى تصف الظاهرة مثل التعبير الجسمي Body language أو لغة الإشارات Gesture language أو اللغة الصامتة Silent language "[٢٠].

وقد ورد ذلك كثيراً في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : چ □ □ □ ى ى چ[٢١]، والغمز في الإشارة بالعين والحاجب والجفن[٢٢] ، وكذلك في قوله تعالى : چ □ □ □ □ □ □ چ [٢٣]، والصك ، الضرب الشديد بالشيء[٢٤] ، عندما سمعت زوج إبراهيم (عليه السلام) البشارة بالولد وزوجها كبير وهي عجوز عقيم ، وقد ضربت وجهها حياءً ومفاجأة من هذا الخبر[٢٥].

وكثيراً ما كان للحركة الجسمية إجابات حاسمة في مواقف عديدة .

ونجد ذلك جلياً في (التنغيم) الذي هو " التباين بين الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت الناتج عن التغيّر في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين التي تحدث نغمة موسيقية ... تصاحب نطقنا لكلمات والجمل "[٢٦].

إذ غالباً لا يتم معنى التنغيم إلاّ بمصاحبة حركات الوجه واليدين والكتف... وفي هذا أمثلة كثيرة في حياتنا اليومية ، إذ إنّنا عندما نلقي التحية نلقيها بنغمات عدة ، فنغمة العتاب تختلف عن نغمة السلام الاعتيادية كذلك عند نغمة الغضب كل ذلك مصحوب بإشارات أو حركات أو إيماءات يفهمها (السامع . المشاهد) أو المتلقي أيّاً كان من غير أن تلتبس عليه المعاني ، – وكما أسلفنا. فلغة الإشارة ربّما كانت في كثير من الأحيان – أبلغ من الكلام فكثيراً ما نفهم المقابل من غير أن ينطق مع الأخذ بالحسبان رهافة الحس ودقة النظر وشدة الانتباه وربما الخبرة ونوع العلاقة كل ذلك يؤثر في فهم المقابل على الرغم من وجود إشارات أو حركات تكاد أن تشكل معجماً عالمياً – إنْ صح التعبير – أي من الممكن أن تفهمها جميع المجتمعات البشرية ؛ وقد ظهرت في الأونة الأخيرة مؤلفات كثيرة اهتمت بلغة الجسد ، لأنّنا قد نرسل رسالة وافية من غير أن نحتاج إلى كلمة فنظرة من جانب العين كافية لأن تفهم اننا يجب ان نكون حذرين عندما نتكلم ، أي أنّ المكان غير آمن أو أننا لا نريد أن يستمع بالخبر من كان حاضراً معنا ، ونظرة بطرف العين صعوداً ونزولاً من أحدهم الى الآخر كافية لأن نفهم مدى أزدرائه بذلك الشخص ، ولغة العيون . في بعض الأحيان . أعمق من أن تفسّر تفسيراً واحداً، ولليد لغة أخرى فوضع إحداها على جانب الوجه يعني الإعجاب بالمتكلم ولا سيّما إذا كان المستمع صامتاً منتبهاً ، أمّا إذا كانت تحت الذقن فقد تدل على التأمل أو الشرود أو الملل من المتكلم ، ووضع اليدين بصورة مغلقة

واحدة فوق الاخرى على الصدر دلالة على نقل الجسم أو شدة التركيز أو الحذر أو التجنب ... [٢٧] .

وهناك صور كثيرة ربّما نراها يومياً ولا نتنبه على دلالتها الحقيقية ؛ لذلك علينا أن نطلع على ما تعنيه أبرز الحركات والإشارات ولا سيّما للذين يريدون التواصل بشكل ناجح مع الآخرين في ظل التنافس المعرفي الذي جاءت به المخترعات الجديدة ، بل قبل ذلك علينا أنْ نلّم بلغة الجسم كي نفهم من يحيط بنا في مجتمعاتنا الخاصة ولا سيّما الأطفال ، فانهم ربما فهموا الإشارة أكثر من الكبار إذ إنهم يفهمون أننا عندما نريد أن نحذرهم وبشدة نرفع عند الكلام سبابتنا ، كثيراً ما تفزعتهم حركة فتح العين سعتها عند الغضب أو العض على الشفة أو السبابة أو هزّ اليد وهي مضمومة وجعل الأنامل إلى الأعلى دلالة على الوعيد .

وهي حركة قد تشترك مع دلالة طلب التمهل ممن يريد منّا أمراً في غاية السرعة ولكن سياق الحال هو الذي يميز بين الدلالتين وكذلك الإيماءات المصاحبة من العين أو حركات الوجه بصورة عامة .

لغة الصمت : .

الواضح من كلّ ما تقدم يقودنا إلى أمر نمارسه في كثير من الأحيان ألا وهو لغة الصمت ، وقد تكون أبلغ من أي حوار أو كلام ، وقد يتغير مدلول الصمت كتغيّر مدلول الكلام أو سائر الحركات بحسب السياق أيضاً " فيقال صَمَتَ رضاً وصمت غضباً وصمت حرجاً وصمت دفعاً للشر "[٢٨] . وخير جواب للسفيه السكوت وهو أمر عرفته العرب قديماً والتزمت به قال الشاعر[٢٩] :

متاركة اللئيم بلا جواب أشدّ على اللئيم من الجواب

وقول الآخر : إذا نطق السفيه فلا تجبه فخيرٌ من إجابته السكوت

وقال بعضهم : " ربّ سكوت أبلغ من منطق "[٣٠]،والموروث في هذا المجال كثير لا يمكن حصره ، ولربّما مررنا بمواقف لا يمكننا إلّا أن نسكت فيها ، وكثيراً ما فسّر هذا السكوت بحسب السياق وفهم المتلقي ، وكثيراً ما كان الصمت أبلغ رسالة وأقوى حجة وأفصح جواب ، وقد يكون من ذلك صمت الفتاة عند خطبتها حياءً ، " وليس كل صمت هو علامة بل يشترط فيه ان المتلقي يدرك ان المتكلم (الصامت) يمكنه الرد أو النطق ولم يصمت عيياً أو مفحماً"[٣١].

ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم في سورة آل عمران على لسان سيدنا زكريا (عليه السلام) چ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ[٣٢] أي أن الامتناع عن الكلام كان آية كبرى وإشارة إلى أمر عظيم.

وهذا أمر يدعونا إلى أن نلتفت إلى لغة (الصم والبكم) إذ إنّ الأبكم هو الذي لا يستطيع النطق لعلة الصم أو غير ذلك من اختلالات الجهاز العصبي أو النطقي ، فهل ينقطع اتصاله بالعالم ؟ وكيف يتواصل مع الآخرين ؟

الجواب ، لا . ولا سيّما في عالم اليوم ، فكثيراً ما نشاهد على القنوات الفضائية في النشرات الإخبارية في أسفل الشاشة وعلى جانبها من يتحرك بإشارات خاصة بيديه ترسل رسائل كاملة إلى هذه الشريحة من المجتمع أي (الصم – البكم) ؛ ذلك أنّ لديهم لغة عالمية هي مجموعة من الإشارات تعارف عليها المتخصصون فصاروا يتفاهمون بها ويمارسون حياتهم الطبيعية مؤكدين أنّ أنماط اللغة كثيرة ولا تتوقف على من يستطيع النطق فحسب .

ولعلّ سؤالاً يتبادر الى الذهن ، هل يمكننا مشاهدة المسرح أو التلفاز من أفلام ومسلسلات ونحن نشاهد أناساً بلا حركة أو إشارة بل ربما فهمنا الفلم او المسرحية أقول (ربّما) وإن كان بغير لغتنا ، إنّما يمكننا ذلك عن طريق فهمنا لحركات الجسم .

خاتمة : .

علم الحركة الجسمية قديم قدم الإنسان ولكل مجتمع حركاته التي تعارف عليها ، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في مواضع كثيرة لا يمكن حصرها وقد مرّ علينا ذكر بعضها في ثنايا البحث ، وللعرب اهتمام بذلك كبير في هذا الجانب ، وكثيراً ما كانت الحركة أبلغ من العبارة .

وخلاصة القول: إنّنا في عالم انفتحت فيه آفاق المعرفة واتسعت ، فلا بدّ للعلوم الإنسانية واللغوية على وجه الخصوص أن تواكب هذه التطورات وعلم اللغة بميادينه المختلفة وتداخله مع العلوم الأخرى ولا سيّما علم الاجتماع وعلم الاتصال وعلم النفس ، ولا بّد للمربي الناجح أيّاً كان و لا سيّما في حقول التعليم بمستوياته جميعها من أن يلّم بهذا العلم لفهم سلوك أبنائه أو طلابه ويتفاعل معهم بلغة تمكنه من أن يدخل إلى قلوبهم قبل عقولهم وبذلك يكون قد ضمن فهم المادة واستيعابها والحضور الدائم والمتفاعل ، ومن جهته وحاول أن يصل إلى درجة من فهم طلابه تجعله يشخص مكمن الخطأ والصواب ، ومقدار تفاعلهم معه عِبْرَ فهمه للغة الجسد و الحركة الجسمية ، لا أقول إنّه بذلك يترك مادة الاختصاص ويلتفت إلى حركاتهم ولكن ينتبه قدر الامكان إلى تفاعلهم الجسمي في محاضراته .أمّا على الصعيد الاجتماعي فلا بدّ لمن يريد التواصل الناجح مع الآخرين من أن يفهم ولو اليسير من هذا العلم ، فأغلب ما تقدم ممارسات تمر بنا يومياً تقريباً ولربما لم نقف عليها لتفسيرها تفسيراً علمياً .

هوامش البحث :

١. معجم اللسانيات الحديثة (١٢١) .
٢. ينظر : السيمياء العربية بحث في أنظمة الإشارات عند العرب.

٣. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) / السعران ص٦٣ . ٦٤.
٤. م.ن ص٦٤.
٥. العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد والعقد نقيض الحل ، بنظر لسان العرب المجلد الثالث ص٢٩٦.
٦. النصبة : ضبط اسم الهيئة والتنصيب وضع الشيء ورفعه ، ينظر لسان العرب مادة نصب.
٧. البيان والتبيين : ٧٦/١ .
٨. م.ن ١/ ٧٧ . ٧٨.
٩. دراسات في علم اللغة ١٥٩.
١٠.معجم علم اللغة النطقي ٦٢.
١١.نفسه .
١٢.ينظر علم الحركة بين النظرية والتطبيق ٢٦ . ٢٧ .
١٣.دراسات في علم اللغة ١٦٠.
١٤.ينظر دراسات في علم اللغة . الصفحة
١٥.ينظر دراسات في علم اللغة ١٥٩ و ١٨٣.
١٦.ينظر: نفسه : ١٦٣.
١٧.ينظر : نفسه : ١٦١ . ١٦٢ .
١٨.نفسه ١٦٧.
١٩.ينظر دراسات في علم اللغة ١٦٧ و معجم اللسانيات الحديثة ٧٣ .
٢٠.معجم اللسانيات الحديثة ٧٣.
٢١.سورة المطففين الآية ٣٠.
٢٢.لسان العرب مادة (غمر) .الجزء والصفحة
٢٣.سورة الذاريات الآية ٢٩.
٢٤.لسان العرب مادة (صكك) ج . ص.
٢٥.دراسات في علم اللغة ٢٠١.
٢٦.معجم اللسانيات الحديثة ٦٧ .
٢٧.ينظر : لغة الجسد لسيدات ورجال الأعمال وينظر لغة الجسد ، إعداد غدوليس وغروست ، ولغة الجسد آلن بيز.
٢٨.لغة الصمت : مقالة في جريدة الصباح، صلاح العبيدي.العدد والتاريخ
٢٩.البرهان في وجوه البيان ٢٥٧.
٣٠.نفسه ٢٥٦ .
٣١.لغة الصمت : مقالة ، صلاح العبيدي .
٣٢.سورة آل عمران الآية ٤١.

مصادر البحث ومراجعه : -

١. القرآن الكريم .

٢. البرهان في وجوه البيان . ابن وهب الكاتب . تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي الطبعة الأولى جامعة بغداد ١٩٦٧.
٣. البيان والتبيين . الجاحظ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.
٤. دراسات في علم اللغة . د. فاطمة محمد محجوب . دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٧٦.
٥. السيمياء العربية . بحث في أنظمة الإشارات عند العرب . صلاح كاظم دار الشؤون الثقافية العامة الطبعة الأولى بغداد ٢٠٠٨.
٦. علم لغة الحركة بين النظرية والتطبيق . عريب محمد عبد . دار الثقافة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى عمان . الأردن .
٧. لسان العرب لابن منظور . دار صادر للطباعة وللنشر . دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٥م . ١٣٧٤هـ .
٨. لغة الجسد : إعداد غدوليس وغروست ترجمة هلانة صالح شقير منشورات دار علاء الدين الطبعة السادسة . سورية . دمشق ٢٠١١.
٩. لغة الجسد : كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم . آلن بيز تعريب سمير شيخاني. الدار العربية للعلوم . منشورات دار الآفاق الجديدة. الطبعة الأولى بيروت ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م.
١٠. لغة الجسد لسيدات ورجال الأعمال ، ليلى شحرور ن الدار العربية للعلوم ناشرون الطبعة الأولى لبنان ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨٩م .
١١. لغة الصمت : صلاح كاظم العبيدي مقالة في جريدة الصباح ، العدد ٤٦٤ الأثنين ١٥ ذو الحجة ١٤٢٥هـ ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٥م.
١٢. معجم علم اللغة التطبيقي انكليزي . عربي . وضع الدكتور محمد علي الخولي ، مكتبة لبنان . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦.
١٣. معجم اللسانيات الحديثة . انكليزي . عربي ، د. سامي لياّ رضا ، د. كريم حسام الدين . د. نجيب جريش ، مكتبة لبنان ناشرون .